الفصل السادس عشر

العرب والعبرانيون

لم تذكر التوراة (العرب) في مواليد بني نوح : سام ، وحام ، ويافث[1] ؛ ولكنها ذكرت أسماء قبائل لا شك في أصلها العربي ، وفي سكناها في جزيرة العرب . وهذا يؤيد ما ذهبت اليه من أن كلمة (العرب) لم تكن تعني قومية خاصة ، ولم تكن تؤدي معنى العلمية ، وانما ترادف (الأعراب) والبدو ، أي سكان البادية ، ولهذا لم تذكر في جدول الأنساب ، وذكرت في مواضع أخرى من التوراة ، لها علاقة بالبادية والتبدي والأعرابية . والا لم تسكت عن ذكر العرب بين الشعوب المصنفة في الجدول المذكور ، وقد كان العرب يجاورون العبرانيين وكانوا على اتصال بهم دائم ، فكان ينبغي ذكرهم في ذلك الجدول ، لو كانت هذه التسمية تعني العلمية في الأصل، وتعني جميع سكان جزيرة العرب من حضر وبدو . أما وهي لم تكن تعني الا قسماً من العرب ، وهم الأعراب أي حالة خاصة من الحالات الاجتماعية، فلذلك لم تذكر ، ومن ذكر في الجدول كلهم حضر مقيمون يعرفون بأسمائهم ، وهم معروفون ، أو قبائل أعرابية عرف العبرانيون أسماءها فذكروها ، فمن طبع العبرانيين اطلاق لفظة (العرب) على الأعراب الذين لا يعرفون أسماءهم وعلى البدو عامة دون تخصيص .

والبدو هم طبقة عاشت عيشة خاصة ، ولم تكن قبيلة واحدة أو قبائل معينة

---

١ التكوين : الاصحاح العاشر ، اخبار الايام الاول ، الاصحاح الاول

محدودة يمكن حصرها وارجاعها الى نسب واحد ، على نحو ما نفهم من كنعانيين وفينيقيين ، ثم ان الأعراب لم يكونوا ينتسبون الى جدّ واحد ولا الى أب معين ، لذلك لم تدخلهم التوراة في عداد الشعوب .

وقد ذهبت جماعة من المستشرقين الى ان العبرانيين هم قوم أصلهم من جزيرة العرب ، هاجروا منها وارتحلوا عنها على طريقة الأعراب والقبائل المعروفة نحو الشمال . وجزيرة العرب لذلك هي الوطن الأم الذي ولد فيه العبرانيون . ودليلهم على ذلك هو الشبه الكبير بين حياة العبرانيين وحياة الأعراب ، وان ما ورد في التوراة وفي القصص الإسرائيلي عن حياة العبرانيين ، ينطبق على طريقة الحياة عند العرب أيضاً ، ثم ان أصول الديانة العبرانية القديمة وأسسها ترجع الى أصول عربية قديمة . أضف الى ذلك ان العرب والإسرائيليين ساميون ، وجزيرة العرب هي مهد الجنس السامي ، فالعبرانيون على رأيهم هم من جزيرة العرب ، وهم جماعة من العرب اذن ان صحت هذه التسمية ، بطرت على أمها وعاقتها وهربت منها الى الشمال[1] .

وإذا جارينا التوراة في قولها بالأنساب ، نرى أن العرب والعبرانيين هم على رأيها من أصل واحد ، هو سام بن نوح ، ونرى أيضاً أنها تعترف ضمناً بقدم (اليقطانيين) ، أي القحطانيين على الإسرائيليين . فاليقطانيون هم أبناء يقطان ابن عابر بن شالح بن أرفكشاد بن سام[2] . وعلى ذلك فهم أقدم عهداً من بني اسرائيل ، وأعرق حضارة ومدنية منهم ، ولا سيما إذا ما عرفنا أن كلمة (عبري) على رأي كثير من العلماء تعني التحول والتنقل ، أي البداوة[3] ، أي أنهم كانوا بدواً أعراباً يتنقلون في البادية قبل مجيئهم الى فلسطين واستقرارهم بها وتحضرهم ، على حين كان القحطانيون متحضرين مستقرين أصحاب مدن وحضارة . كذلك جعلت التوراة الفرع العربي الآخر الذي وضعته في قائمة أبناء (كورش) أقدم عهداً من الاسرائيليين[4] .

---

١ Montgomery, Arabia, Nielaen, Handbuch der altarabischen Altertumskunde, I. S. 241. وسيكون رمزه : Handbuch .

٢ التكوين الاصحاح العاشر ، الاية ٢٠ وما بعدها .

٣ اسرائيل ولفنسون ، تاريخ اللغات السامية (ص ٧٧ فما بعدها) .

٤ التكوين ، الاصحاح العاشر ، الاية ٦ وما بعدها .

لقد كان العرب، بدواً وحضراً على اتصال بالعبرانيين ، فأينما عاش العبرانيون عاشوا مع العرب . ولعل هذا الاتصال هو الذي حمل نسّابيهم على عدّ العرب ذوي قربى لليهود ، ومن ذوي رحمهم . وكان العرب حتى في أيام تكوين العبرانيين حكومة في فلسطين يؤثرون تأثيراً خطيراً في الوضع السياسي هناك . وقد كانوا يقطنون بكثرة في الأقسام الشرقية والجنوبية من فلسطين وفي طور سيناء وغزة[1] . بل وكانوا يقطنون في القدس كذلك .

ومن علماء التوراة من يرى أن (أيوب) ، صاحب السفر المسمى باسمه ، أي (سفر أيوب) وهو من أسفار التوراة ، هو رجل عربي ، إذ كانت كل الدلائل الواردة في سفره تدل على أنه من العرب ، فقد كان من أرض (عوص) (Uz) . و (عوص) وإن اختلف العلماء في مكانها ، فالراجح عندهم أنها في بلاد العرب في (نجد) ، أو في بلاد الشام في (حوران) ، أو في (اللجاة) ، أو على حدود (ادوم) (Idumaea) ، أو في العربية الغربية في شمال غربي (المدينة) . ويرى بعضهم أنه كان يسكن في شرق فلسطين أو في جنوب شرقيها ، أي في جزيرة العرب ، أو في بادية الشام[2] .

وسبب هذا الخلاف ، هو أن التوراة لم تحدد مكان أرض (عوص) ، فبينما نرى أن سفر (أيوب) يتحدث عن هجوم (أهل سبأ) على ملك (أيوب) واستياق بقر كانت له تحرث الأرض وأتن ترعى[3] ، مما يشعر أن أرض (أيوب) التي هي (عوص) ، كانت على مقربة من السبئيين . نرى هذا السفر يذكر بعد آية واحدة هجوم ثلاث فرق من الكلدانيين على ابل (أيوب) ، مما يجعلنا نتصور أن أرض (عوص) كانت على مقربة من الكلدانيين ، أي في البادية القريبة من الفرات[4] . والرأي عندي أن (أيوب) كان رجلاً غنياً يملك ابلاً وبقراً وأتناً وأملاكاً ، وربما كان سيد قبيلة ، وله رعاة يتنقلون بماشيته في بادية الشام ما بين العراق وفلسطين وأعالي الحجاز ، فأغار (أهل سبأ) على بقر له كانت تحرث أرضه وعلى أتن كانت ترعى في أرضه، وأخذوها من رعاته وحرّاسه.

---

١ Enc. Bibli. I, P. 272. ff.

٢ قاموس الكتاب المقدس (١٨٨/١) ، (١٢٦/٢) Hastings, P. 469, 956.

٣ ايوب ، السفر الاول ، الاية ١٤ فما بعدها

٤ ايوب ، السفر الاول ، الاية ١٧ Hastings, P. 469, 956.

وهؤلاء السبئيون ، هم من السبئيين النـازحين الى الشمال والساكنين في أعالي الحجاز وفي الأردن. فالغارة كانت في هذه المنطقة . أما غارة الكلدانيين فكانت في العراق على مقربة من أرض الكلدان ، وذلك لأن رعاة إبله كانوا قد تنقلوا الى هناك على عادة الأعراب حتى اليوم في التنقل بإبلهم من مكان الى مكان طلباً للماء والكلأ ، فاستولى الكلدانيون عليها وأخذوها ، ولا علاقة لهاتين الغارتين بموطن أيوب .

وقد ذكر في سفر (أيوب) أنه (كانت قنيته سبعة آلاف من الغنم وثلاثة آلاف من الإبل وخمس مئة فدان بقر وخمس مئة أتان . وله عبيد كثيرون جداً، وكان ذلك الرجل أعظم أبناء المشرق جميعاً)[1] . وتدل هذه الأرقام والأوصاف المذكورة لثروته أنه كان من أعاظم الأغنياء في أيامه ، وأنه كان من (أبنـاء الشرق) ، هي ترجمة لجملة (بني قيديم) (Bene Kedem) العبرانية ، وليس في التوراة تحديد لمكان (بني قيديم) (بني قديم) ، ولا تعريف لهم، ولكن التسمية العبرانية هذه ، تشير الى أن المراد منها من كان يقيم في شرق العبرانيين ولا سيما في البادية الواقعة شرق فلسطين[2] . فهم إذن في نظر العبرانيين ، الساكنون في شرقهم. ولما كان أيوب من (بني قيديم) ، ومن أرض (عوص) ، فيجب أن تكون أرض (عوص) في البادية في شرق فلسطين ، أي في منازل (بني قديم) الممتدة الى العراق[3] ، وهي مواطن الأعراب. وقد عرف واشتهر بعض (بني قيديم) بالحكمة عند العبرانيين[4] .

ويستدل من يقول بعروبة (أيوب) بالأثر العربي البارز على (سفر أيوب). ومن قدماء من قال بوجود أثر للعروبة في سفره ، العالم اليهودي (ابن عزرا) (بن عزرة) (Ibn Ezra) (Ben ezra) من رجال القرن الثاني عشر . وقد تبعه في ذلك جماعة من الباحثين الذين وجدوا في الكلمات والتعابير والأسماء الواردة في ذلك السفر ما يشير الى وجود أثر عربي عليه ، حتى ذهب بعضهم الى أن

---

١ ايوب ، السفر الاول ، الاصحاح الاول ، الاية ٣

٢ Montgomery, P. 41, 46, 49, 71, 169.

٣ قاموس الكتاب المقدس (٦١٧/١ فما بعدها) ،

٤ Hastings, P. 200.

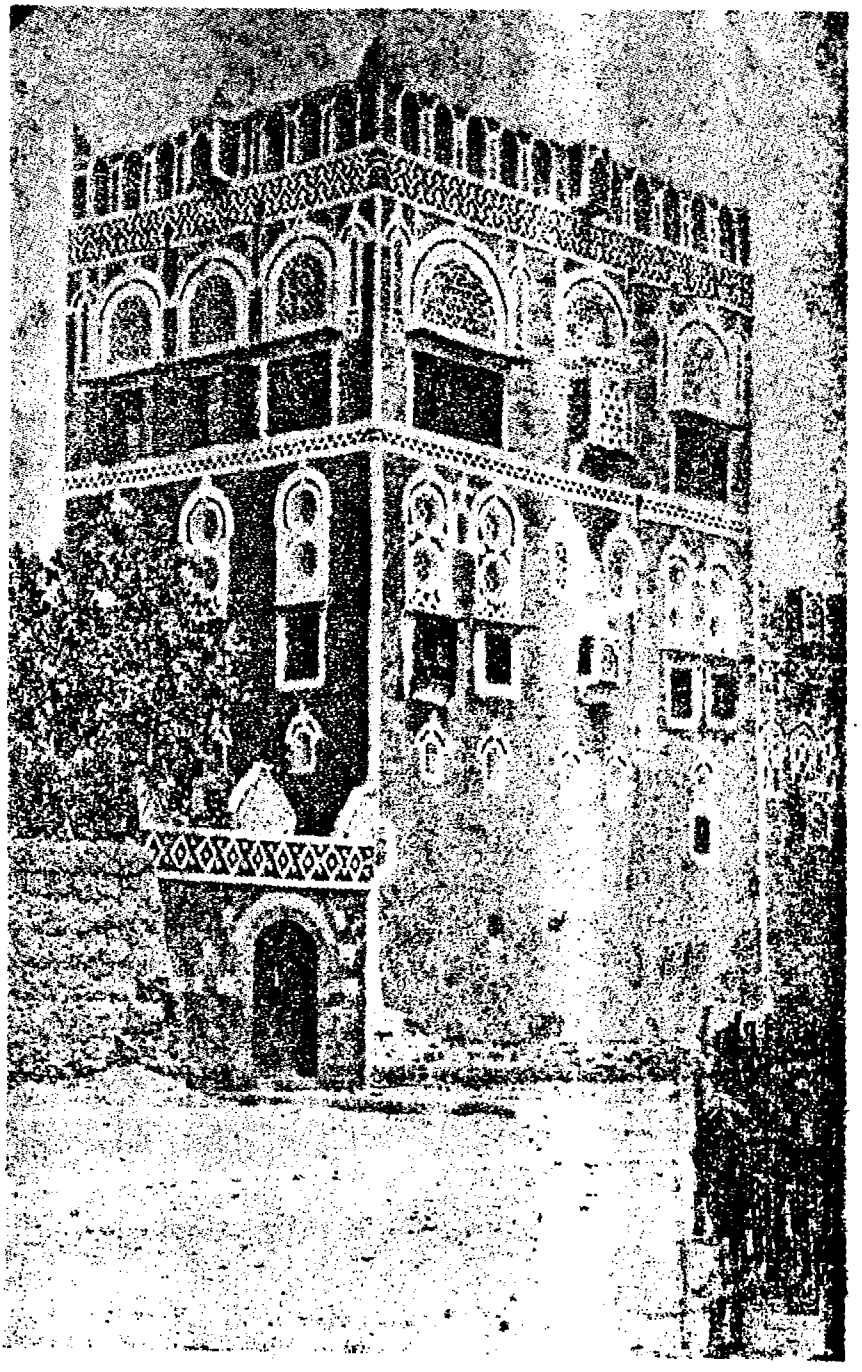

دار من دور صنعاء ، ويرى عليها الأثر المعماري اليماني القديم

ذلك السفر هو ترجمة لأصل عربي مفقود[1] .

وفي أثناء حديث التوراة عن أيام (داوود) وملكه ، أشارت الى رجل كان من شجعانه وأبطاله الذين تباهى بهم وافتخر ، دعته (أبيل) العربي (Abiel)[2] وكان من أهل (بيت عرابة) (بيت عربة) (Beth-Arabah) في تيه (يهودا)[3] . ويدل لقبه هذا والموضع المذكور انه كان من العرب، وأشارت الى رجل آخر ، ذكرت انه كان على جمال (داوود) ، دعته بـ (أوبيل الإسماعيلي) (Obil)[4]، فهو من العرب الإسماعيليين . ولا يستبعد أن يكون هذا الرجل من وجوه الأعراب، ولذلك أوكل اليه أمر إبله ، وهي حرفة من صميم عمل أبناء البادية .

وقد أشير في سفر (يوئيل) الى السبئيين ، فورد فيه : « ها أنا ذا أنهضتهم من الموضع الذي بعتموهم اليه ، وأرد عملكم على رؤوسكم ، وأبيع بنيكم وبناتكم بيد بني يهوذا ليبيعوهم للسبئيين لأمة بعيدة ، لأن الرب قد تكلم »[5] . وقد ورد هذا التهديد لأن الصوريين والصيدونيين وجميع دائرة فلسطين كانوا قد استولوا على فضة الهيكل في (أورشليم) وذهبه ونفائسه ، وباعوا (بني يهوذا) و (بني أورشليم) لبني (ياوان)[6] أي اليونان[7] . فورد هذا التهديد على لسان (يهوه) إلـه اسرائيل متوعداً أولئك الذين نهبوا الهيكل وأسروا (بني يهوذا) و (بني أورشليم) ، أي سكان القدس ، وباعوهم لليونان ، بمصير سيء ، وبانتقام الرب منهم ، وبقرب ورود يوم ، يبيع فيه (أبناء يهوذا) ، أي العبرانيين أبناء المذكورين الى السبئيين .

وتدل جملة « للسبئيين ، لأمة بعيدة » على ان السبئيين المذكورين كانوا يسكنون في منازل بعيدة عن العبرانيين . ويظهر انها قصدت السبئيين أهل اليمن، فهم بعيدون عن فلسطين . وكان تجار سبأ يأتون أسواق اليهود لشراء ما فيها من بضاعة بشرية لاستخدامهم في سبأ[8] .

---

١ Montgomery P. 172, Foster, in Ameri. Journ. of Sem. Languages, October, 1932, PP. 31, Margoliouth, The Relations, P. 30.

٢ اخبار الايام الاول ، الاصحاح ١١ ، الاية ٣٢

٣ Hastings, P. 3.

٤ اخبار الايام الاول ، الاصحاح ٢٧ ، الاية ٣٠

٥ يوئيل ، الاصحاح الثالث ، الاية ٧ فما بعدها

٦ يوئيل ، الاصحاح الثالث ، الاية ٥ وما بعدها

٧ Montgomery, P. 181.

٨ Margoliouth, The Relations, P. 50, Hartmann, Arabische Frage, S. 421.

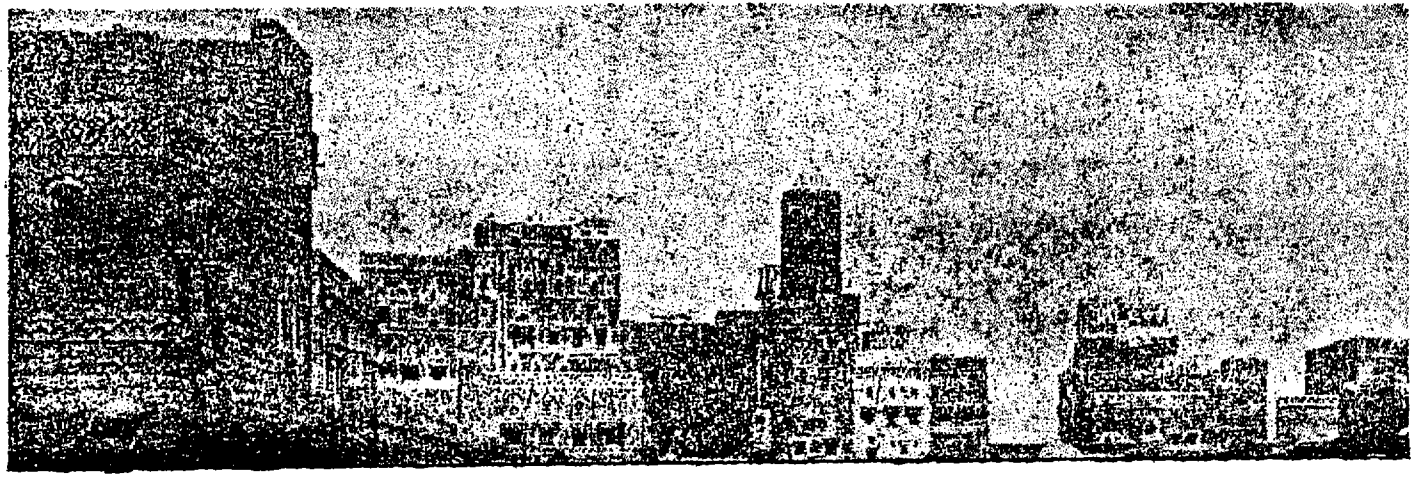

سوق الحطب بصنعاء . وترى بيوت السكن وقد حافظت على طراز البناء القديم

وفي التوراة خبر زيارة ملكة (سبأ) لسليمان . وقصة هذه الزيارة ، وان دونت فيما بعد ، كتبها كتبة التوراة بعد عدة قرون ، الا انها تستند الى قصص قديم كان متداولاً ولا شك بين العبرانيين ، فدوّنه هؤلاء الكتاب .

وقد رأى بعض نقدة التوراة ان هذه القصة قد كتبها أولئك الكتبة لاثبات عظمة سليمان ، وسعة دولته ، وشهرة حكمته . غير ان هذا لم يبت به حتى الآن . ورأى آخرون ان هذه الملكة لم تكن ملكة (سبأ) في اليمن ، لعدم ورود أسماء ملكات في النصوص العربية الجنوبية ، بل كانت ملكة تحكم في العربية الشمالية ، تحكم جماعة من السبئيين الذين كانوا قد نزحوا الى هذه المناطق منذ عهد بعيد ، وكوّنوا مستوطنات سبئية في الأردن وفي أعالي الحجاز[1] .

وتعلل التوراة سبب زيارة ملكة سبأ لسليمان بقولها : « وسمعت ملكة سبأ بخبر سليمان لمجد الرب ، فأتت لتمتحنه بمسائل ، فأتت الى أورشليم بموكب عظيم جداً. بجمال حاملة أطياباً وذهباً كثيراً جداً وحجارة كريمة ، وأتت الى سليمان وكلمته بكل ما كان بقلبها »[2] . فلما سألته ورأت « البيت الذي بناه وطعام مائدته ومجلس عبيده وموقف خدامه وملابسهم وسقائه ومحرقاته التي كان يصعدها في بيت الرب ، لم يبق فيها روح بعد ، فقالت للملك : صحيحاً كان الخبر الذي سمعته في أرضي عن أمورك وعن حكمتك ، ولم أصدق الأخبار حتى جئت وأبصرت عيناي »[3]. وأعطت (سليمان) « مئة وعشرين وزنة ذهب وأطياباً كثيرة جداً وحجارة كريمة لم يأت بعد مثل ذلك الطيب في الكثرة الذي أعطته ملكة سبأ للملك سليمان »[4] .

وجاء في سفر (الملوك الأول) حكاية عن الذهب الذي وصل الى سليمان : « وكان وزن الذهب الذي أتى سليمان في سنة واحدة ستمئة وست وستين وزنة ذهب ، ما عدا الذي ورد من عند التجار وتجارة التجار وجميع ملوك العرب وولاة الأرض »[5] . ولا تعني جملة « وجميع ملوك العرب » و « كل ملكي

---

١ Hastings, P. 843.

٢ الملوك الاول ، الاصحاح العاشر ، الاية ١ فما بعدها ، وتقابل : سفر اخبار الايام الثاني ، الفصل التاسع ، الاية ١ فما بعدها من الترجمة الكاثوليكية .

٣ الملوك الاول ، الاصحاح العاشر ، الاية ٤ فما بعدها .

٤ الملوك الاول ، الاصحاح العاشر ، الاية ١٠

٥ الملوك الاول ، الاصحاح العاشر ، الآية ١٠ ، ١٤ فما بعدها ، اخبار الايام الثانى الاصحاح التاسع ، الاية ١٣ فما بعدها .

ها عرب » في رأيي ونظري ملوك جزيرة العرب ، كما يفهم ذلك من ظاهر النص ، وانما تعني رؤساء أعراب كانوا يقيمون على مقربة من فلسطين ، وفي فلسطين نفسها ، دفعوا اليه هدايا وضرائب، لأنهم كانوا يتاجرون مع العبرانيين ، فقدموا اليه هدايا على قاعدة ذلك اليوم . وقد رأينا ان الآشوريين كتبوا مثل ذلك عن العرب وعن غيرهم في نصوصهم ، اذ لا يعقل خضوع كل ملوك جزيرة العرب لسليمان . فلم يكن ملكه قد جاوز حدود العقبة، كما نجد في التوراة، وقد ذكرنا ان لفظة (ها عرب) ، أي (الغرب) انما كانت تعني الأعراب والبدو في العبرانية ، ولذلك فجملة « وكل ملوك العرب » تعني « وكل رؤساء الأعراب» ، وهم كثيرون . فقد كانوا قبائل وعشائر ، ولكل قبيلة وعشيرة سيد ورئيس . وقد كان منهم عدد كبير في فلسطين وفي طور سيناء .

ووجه (سليمان) أنظاره نحو البحر ، ليتجر مع البلاد الواقعة على البحار ، وليستورد منها ما يحتاج العبرانيون اليه ، فأنشأ أسطولاً تجارياً في (عصيون جابر) (Ezion Geber) على خليج العقبة بجانب (أيلة) (أيلوت) (Eloth) (ايلات) (Elath) ، من أرض (أدوم)[1] . وقد عرف خليج العقبة بـ (بحر سوف) ، (يم — سوف) (Yam-Soph) في العبرانية . ولما كان العبرانيون لا يعرفون البحر ، استعان سليمان بـ (حيرام) ملك (صور) في تسيير الاسطول وتدريب العبرانيين على ركوب البحر . فأمده بخبراء من صور ، تولوا قيادة السفن، يخدمهم رجال سليمان . فمخروا البحر حتى وصلوا الى (أوفير) ، وأخذوا من هناك ذهباً ، زنته أربع مئة وعشرون وزنة ، أتوا بها الى سليمان[2] .

ويظن ان (عصيون كبر) (عصيون جبر) (عصيون جابر) (Ezion Geber) كانت عند (عين الغديان) في قعر وادي العربة ، على رأي بعض الباحثين[3] ، أو (تل الخليفة) على رأي بعض آخر[4] . وقد عرفت بـ (Berenice) فيما بعد[5] ، وتقع الى الغرب من العقبة . وقد قامت بعثة أمريكية بحفريات علمية

---

١ الملوك الاول ، الاصحاح التاسع ، الآية ٢٦ .
٢ الملوك الاول ، الاصحاح التاسع ، الآية ٢٦ فما بعدها .
٣ قاموس الكتاب المقدس (١٠٦/٢) .
٤ N. Glueck, in BOASOOR. Nos. 71, 72, October, and December, 1938, No. 76, October, 1939, No. 80, October, 1940, J. Hornell, in Antiquity, Vol. XXI, June 1947 PP. 66, W. F. Albright, The Archaeology of Palestine, 1963, P. 44, 127, 128.
٥ Hastings, P. 253.

بين ١٩٣٨ و ١٩٤٠ في هذا الموضع ، وظفرت – فيما عثرت عليه من الآثار – بأدوات مصنوعة من النحاس ومن الحديد . والظاهر ان سكان هذا الموضع كانوا يحصلون على النحاس من مناجمه الغنية في (طور سيناء) .

وفي جملة ما عثر عليه من آثار في (تل الخليفة) جرتان ، عليهما كتابات بأحرف المسند ، وقد قدر أن تأريخ صنعهما لا يقل عن القرن الثامن قبل الميلاد . وتدل أحرف المسند هذه على ان صانعيها كانوا يكتبون بهذا القلم ، وقد رأى بعض الباحثين ، أنها من صنع أهل مدين . واذا صح هذا الرأي فإنه يكون دليلاً على أن المدينيين كانوا يكتبون به . ويرى (ريكمنس) (G. Ryckmans) أن لهذه الكشوف صلة بالمعينيين الذين كانوا في العلا وتبوك[١] .

وترى طائفة من علماء التوراة أن (أوفير) التي اشتهرت بوفرة ذهبها ، والتي أرسل (سليمان) اليها سفناً مع سفن (حيرام) في طلب الذهب وخشب الصندل والحجارة الكريمة[٢] ، هي أرض في بلاد العرب . ونظراً الى ورود اسمها بين (شبا) و (حويلة) في الإصحاح العاشر من التكوين[٣] ، ذهب بعض العلماء الى وقوعها في الأقسام الشرقية أو في الأقسام الجنوبية من جزيرة العرب[٤] . ورأى (كلاسر) أنها المنطقة الواقعة على ساحل خليج عمان والخليج العربي[٥] .

وذهب نفر آخر من علماء التوراة الى وقوع (أوفير) في إفريقية أو في الهند[٦] . ولكن الرأي الغالب أنها في العربية على ما ذكرت . وذلك ، لما ورد في التوراة من أن (أوفير) ابن من أبناء (يقطان) ، وقد ذكر بين (شبا)

---

١ G. Ryckmans, On some Problems of South Arabian Epigraphy, in Bulletin of the School of Oriental and African Studies, University of London, London, 1952, Rep. Epig. 4918 bis, The Illustrated London News, Vol. 195, No. 5233, 1939, P. 247, G. Ryckmans, Revue Biblique, 1939, P. 247-249, N. Glueck, The Excavations of Solomon's Seaport: Ezion-Geber, in Smithsonian Institution Annual Report for 1941, P. 479.

٢ الملوك الاول ، الاصحاح التاسع ، الاية ٢٧ وما بعدها ، الاصحاح العاشر ، الاية ١١ ، اخبار الايام الثاني ، الاصحاح التاسع الاية ١٠

٣ التكوين ، الاصحاح العاشر ، الاية ٢٩

٤ قاموس الكتاب المقدس (١٧٨/١) Hastings, P. 669.
Enc. Bibli. P. 3514, Simon Dubnow, Die Alteste Geschichte des Judischen Volkes, Judischer Verlag, Berlin, 1925, Bd. I, S. 123.

٥ Skizze, II, S. 353.

٦ Hastings, P. 669.

و (حويلة) ، ونظراً الى أن مواطن اليقطانيين هي ما بين (ميشا وأنت آت نحو سفار جبل المشرق)[1] . و (ميشا) وإن تباينت آراء العلماء في تعيين مكانه فمنهم من ذهب أنه (ميسيني) (ميسان) (Mesene) على رأس الخليج ، (خليج البصرة) ، أو (ماش) (ماشو) (Mashu) الأرض المذكورة في الكتابات الآشورية ، والتي تعني بادية الشام . أو أنه موضع (موزح) أو (موسح) في نجد ، او اسم قبيلة من قبائل نجد[2] . إلا أنك ترى من كل آراثهم انه اسم مكان في بلاد العرب ، او اسم قبيلة عربية ، وأن (سفار) وهي الحد الآخر من حدود منازل اليقطانيين هي (ظفار) (Zafar) ، عاصمة مملكة حضرموت القديمة على رأي علماء التوراة[3] . ولما كانت أسماء ابناء يقطان المذكورين ، والذين قد تحققنا من هويتهم كناية عن اسماء مواضع في جزيرة العرب ، وجب ان تكون (أوفير) في جزيرة العرب كذلك :

ومن الباحثين من يرى ان (أوفير) هي (عسير) ، ورأى آخرون انها ارض (مدين) وقد رجح اكثرهم كونها على سواحل جزيرة العرب الغربية او الجنوبية ، لأن الأماكن هي اقرب الى الوصف الوارد في التوراة من الأماكن الأخرى[4] :

وقد ذكر الهمداني في (معادن اليمامة) موضعاً سماه (الحفسير) ، قال : « ومعدن الحفير بناحية عماية ، وهو معدن ذهب غزير »[5] . وصلة وجود الذهب فيه بغزارة ، تنطبق على هذا الموضع أحسن انطباق ، الا ان هذا الموضع بعيد عن البحر ، ولكن من يدري ؟ فلعل كتّاب التوراة لم يكونوا يعرفون مكان (أوفير) ، وانما سمعوا بذهبه ، الذي يتاجر به العرب الجنوبيون، من الموانىء الساحلية ، فأرسل سليمان سفنه الى مواضع بيعه في سواحل جزيرة العرب لشرائه، ومن هنا ظن كتّاب (العهد القديم) ان (أوفير) على ساحل البحر . و(الحفير)

---

١ التكوين ، الاصحاح العاشر ، الاية ٢٦ فما بعدها

٢ قاموس الكتاب المقدس (٣٩٩/٢) Hastings, P. 606

٣ قاموس الكتاب المقدس (٥٥٨/١) Hastings, P. 836

٤ Sprenger, Die Alte Geography Arabiens, S. 53. ff. Moritz, Arabien, S. 7, Burton, The Gold Mines of Midian, Skizze, II S. 347, Montgomery, Arabia, P. 38.

٥ صفة (ص ١٥٣ ، سطر ٢٤) .

كما ترى اسم قريب جداً من (أوفير) .

وقد ضرب المثل بكثرة تبر (أوفير) ، وبحسن سبائك ذهبها ، فورد في سفر (أيوب) على لسان (اليفاز التيماني) مخاطباً (أيوب) ، داعياً اياه الى توجيه وجهه لله : « فانك إن تبت الى القدير ، يعاد عمرانك وتنفي الإثم عن أخبيتك ، فتجعل التبر مكان التراب وسبائك أوفير مكان حصى الأودية »[1] :

وأنشأ سليمان خطاً بحرياً آخر ينتهي بأرض اشتهرت بالذهب كذلك ، سميت في التوراة (ترشيش) . وقد استعان سليمان بمدربين وملاحين من (صور) ، أمدّه بهم (حيرام) ملك (صور) . وكان الأسطول مختلطاً اسرائيلياً وحيرامياً، يذهب مرة في كل ثلاث سنوات . وأما البضاعة التي يعود بها من (ترشيش) فهي ذهب وفضة وعاج وقردة وطواويس[2] . ولم يتفق العلماء حتى الآن على تعيين موضع (ترشيش) ، فرأى بعضهم انه مكان في افريقية ، ورأى بعض آخر انه في مكان ما من سواحل آسية الجنوبية ، ورأى آخرون انه في اسبانية[3] : وكانت سفن صور تتاجر مع ترشيش وتربح من هذه التجارة ربحاً فاحشاً ، كما جاء ذلك في التوراة .

وعلى أثر وفاة (سليمان) في حوالي سنة (٩٣٧ ق. م.) انشطرت حكومته شطرين : إسرائيل (Israel) و (يهوذا) (Judah) . وقد أثر هذا الانقسام على أعمال العبرانيين التجارية البحرية ، لذلك لا نسمع لها ذكراً في التوراة الى أيام (يهوشافاط) (Jehoshaphat) ابن الملك (آسا) (Asa) ، الذي حكم فيما بين (٨٧٦) و (٨٥١) ق. م. تقريباً[4] فتحدثنا التوراة أنه اتفق مع (أخزيا) ملك (إسرائيل) على بناء أسطول جديد في (عصيون جابر) ليسير الى (ترشيش) ، غير أن مأربهما لم يتحقق ، إذ تكسرت السفن ، ولم تستطع السير الى (ترشيش)[5] . ويظهر أنه أراد إحياء فكرة (سليمان) القديمة في الاتصال بالبحر الأحمر والمحيط الهندي وبإفريقية وبسواحل جزيرة العرب الجنوبية وبسواحل آسية ، إلا أنه لم ينجح[6] . والظاهر أن العبرانيين لم يكونوا قد اتقنوا

---

١ ايوب ، السفر الثاني والعشرون ، الاية ٢٣ فما بعدها .
٢ الملوك الاول ، الاصحاح العاشر ، الاية ٢٢ فما بعدها
٣ قاموس الكتاب المقدس (١/٢٨٤ وما بعدها) Hastings, P. 895
٤ Hastings, P. 400.
٥ اخبار الايام الثاني ، الاصحاح العشرون ، الاية ٣٥ فما بعدها
٦ Dubnow, I, S. 165.

بناء السفن والسير بها في البحار ، فأخفقوا ، وأن نجاح (سليمان) في الوصول الى (أوفير) و (ترشيش) مَردّه الى خبرة ومهارة البحـارة الصوريين الفينيقيين .

ويظهر من سفر (الملوك الأول) ان (يهوشافاط) قام بنفسه منفرداً ببناء السفن لإرسالها الى (ترشيش) ، غير انها تكسرت في (عصيون جابر) فعرض (أخزيا بن آخاب) ملك اسرائيل عليه أن يبنيا أسطولاً مشتركاً ، يشترك فيه ملاحون من اسرائيل وملاحون من يهوذا ، الا انه رفض ذلك[1] . ولم نعد نسمع بمحاولات أخرى للعبرانيين ترمي الى اعادة فكرة (سليمان) في بناء سفن بحرية للاتجار بها مع البلاد الواقعة على البحر بمسافات بعيدة عن اسرائيل .

نعم ، لقد كوّن (المكّابيون) أسطولاً تجارياً لهم جعلوا مقره في (يافا) (Jappa)[2] ولكنهم لم يتمكنوا من بناء أسطول لهم يخترق مياه البحر الأحمر ، ليزاحم العرب أو غيرهم فيه . فلم يكن الإسرائيليون من عشاق البحر على شاكلة الفينيقيين أو العرب الجنوبيين أو سكان العروض . ولولا المساعـدة الثمينة التي قدمها ملك صور لسليمان ، لما استطاع العبرانيون أن يصلوا الى (ترشيش) أو (أوفير) .

وقد انصرف (يهوشافاط) على ما يظهر الى اقرار الأمن في حدود مملكته ، وتحسين علاقاته مع (أخاب) ملك اسرائيل ، ومع جيران (يهوذا) ، حتى تمكن من عقد محالفات معهـم ، أدت الى الاستقرار والهدوء ، فـلم يحاربوا (يهوشافاط)[3] ، وهذا مما حمل علماء يهود على التجول في مدن (يهوذا) لتعليم الناس أحكام دينهم . وحمل اليه (الفلسطينيون) هدايا وجزىً دفعوها فضة ، كما جاء في التوراة[4] ، ودفع اليه (العرب) كما تقول التوراة أيضاً (٧٧٠٠) كبش و (٧٧٠٠) تيس[5] . ويظهـر ان (العـرب) المذكورين ، هم من الأعراب النازلين في (يهوذا) ومن الأعراب الذين يفدون عليها للاتجار : والا

---

١ الملوك الاول ، الاصحاح الثاني والعشرون ، الاية ٣٨ فما بعدها
Montgomery, Arabia, P. 179.

٢ Hastings, P. 849.

٣ اخبار الايام الثاني ، الاصحاح الثامن عشر ، الاية الاولى فما بعدها .

٤ اخبار الايام الثاني ، الاصحاح السابع عشر ، الاية ١١

٥ اخبار الايام الثاني ، الاصحاح السابع عشر ، الاية ١١

فلمّ يدفع الأعراب الساكنون في خارج (يهوذا) جزى أو هدايا لملكها ، وليس له سلطان عليهم ؟ وقد ترجمت لفظة (عربايم) العبرانية بلفظة (عربان) في ترجمة (جمعية التوراة الأمريكانية) للتوراة الى العربية. أما (الترجمة الكاثوليكية) فقد ترجمتها بلفظة (العرب) . أما المراد من النص العبراني ، فهو(الأعراب) لأن لفظة (عرب) ، لم تكن تعني يومئذ الا هذا المعنى .

وتولى (يهورام) (Jehoram) (٨٥١ – ٨٤٣ ق.م.) ، الحكم على مملكة (يهوذا) بعد (يهوشافاط)[١] . وتذكر التوراة أنه قتل جميع اخوته وبعض رؤساء إسرائيل بالسيف[٢] . وأنه أغضب إلّه (إسرائيل) بأفعاله المنكرة، لذلك (أهاج الرب على يهورام روح الفلسطينيين والعرب الذين بجانب الكوشيين، فصعدوا الى يهوذا وافتتحوها وسبوا كل الأموال الموجودة في بيت الملك مع بنيه ونسائه أيضاً . ولم يبق له ابن إلاّ يهوحاز أصغر منه)[٣] . وتذكر بعد ذلك أن اللهّ ابتلاه بمرض في أمعائه وبأمراض رديئة (فذهب غير مأسوف عليه، ودفنوه في مدينة داوود ، ولكن ليس في قبور الملوك)[٤] .

ويظهر أن هجوم العرب على (أورشليم) كان هجوماً شديداً عنيفاً كاسحاً، بدليل ما جاء في الآية التي أشرت اليها في التوراة،وفي الآية الأولى من (الإصحاح التالي) للإصحاح المذكور : (وملك سكان أورشليم أخزيا ابنه الأصغر عوضاً عنه ، لأن جميع الأولين قتلهم الغزاة الذين جاءوا مع العرب الى المحلة)[٥] . وفي هذا الهجوم الماحق دلالة على ضعف مملكة (يهوذا) وتضعضع الأمن فيها وعلى التناحر الشديد الذي كان بين السكان حتى أننا لنجد الشعب فرقاً غير متفقة، وأكثرها تخاصم الحكام .

ويرى (مرغيلوث) (Margoliouth) أن المراد بالعرب الذين بجوار الكوشيين العرب الجنوبيون ، أي سكان اليمن . وذلك لأنهم في جوار (الكوشيين) أي

---

١ (ملك ٨ سنين من سنة ٨٩٢ – ٨٨٥ ق . م) ، قاموس الكتاب المقدس (٥٣٤/٢) . Hastings, P. 400.

٢ اخبار الايام الثاني ، الاصحاح الحادي والعشرون ، الاية ٤ فما بعدها

٣ اخبار الايام الثاني ، الاصحاح الحادي والعشرون ، الاية ١٦ فما بعدها

٤ اخبار الايام الثاني ، الاصحاح الحادي والعشرون الاية ١٩ فما بعدها

٥ اخبار الايام الثاني ، الاصحاح الثاني والعشرون ، الاية ١

الحاميين ، السودان ، وهم سكان إفريقية ، لا يفصلهم عنهم إلا مضيق (باب المندب) . ويرى أيضاً أن ذلك الهجوم كان بحراً ، مستدلاً على رأيه هذا بأن العرب المذكورين سرعان ما تراجعوا الى منازلهم بغنائمهم وبما حصلوا عليه من أموال ، دون أن يكلفوا أنفسهم البقاء في (أورشليم) والاستيلاء على (يهوذا) ، وبمساعدة الفلسطينيين للعرب في هجومهم على يهوذا ، وقد كان الفلسطينيون يسكنون سواحل فلسطين[1] .

أما (موسل) ، فيرى أن (العرب الذين بجانب الكوشيين) ، هم العرب النازلون في الأقسام الغربية من (طور سيناء) وعلى حدود مصر ، وفي الأقسام الجنوبية من (طور سيناء) وعلى مقربة من (أيلة) . وقد كانت (طور سيناء) موطناً قديماً للعرب ، وقد أشير في الكتابات المسمارية الى ملوك عرب ، حكموا هذه الأرضين[2] .

ويحدثنا الاصحاح السادس والعشرون من (أخبار الأيام الثاني) أن (عزيا) (Uzziah) ملك (يهوذا) (٧٧٩ – ٧٤٠ ق. م.)[3] . كان مستقيماً في أول أمره مطيعاً لأوامر الكهان ، لذلك وفقه الله ، فخرج (وحارب الفلسطينيين وهدم سورجت وسور يبنة وسور أشدود ، وبنى مدناً في أرض أشدود والفلسطينيين وساعده الله على الفلسطينيين وعلى العرب الساكنين في جوربعل والمعونيين[4] . ويفهم من هذه الآيات أن الفلسطينيين والعرب كانوا جبهة واحدة متحدة ضد مملكة (يهوذا) . وقد كبدوها خسائر فادحة كما رأينا . فلما تولى هذا الملك ، أراد رمي صفوف أهل مملكة (يهوذا) ووقاية مملكته ، وقد نال تأييد شعبه له ، فحارب الفلسطينيين وتغلب عليهم ، وحارب العرب الساكنين في (جوربعل) والمعونيين ، وهدم أسوار المدن التي عرفت بعدائها لـ (يهوذا) ، وبنى مدناً جديدة في (أشدود) وفي الأرضين الساحلية المعروفة بفلسطين :

---

١ Margollouth, The Relations, P. 52.

٢ Hegaz, P. 274.

٣ Hastings, P. 401, 957, Enc. Bibli. P. 5240, Hegaz, P. 244.
ويدعى ايضا «عزريا» وهو ابن «أمصيا» ، (٨٠٨ – ٧٥٦ ق.م.)
(٧٨٢ – ٧٣٧ ق.م.) ، قاموس الكتاب المقدس (٢/١٠٠).

٤ اخبار الايام الثاني ، الاصحاح السادس والعشرون ، الاية ٦ وما بعدها

ومدينة (جث) ، هي مدينة قديمة في تخوم (دان) ، وبها ولد (جليات) (كلياث) (Goliath) جبّار الفلسطينيين كما أنهـا إحدى مدنهم الخمس[1] : وكانت في أيام داوود في يد الفلسطينيين ، وكان عليها ملك اسمه (أخيش) (Achish)[2] ، ولم يعرف مكانهـا بالضبط . وأما (يبنة) ، وتعرف أيضاً بـ (يبنئيل) ، فإنها من مدن الفلسطينيين كذلك . وهي (بينـة) في الزمان الحاضر ، وتقع على بعد (١٢) ميلاً جنوب (يافا) و (٣) أميال شرقي البحر[3]، أو (يمنة) على مسافة ٧ أميال جنوبي (طبرية)[4] .

ولم يتمكن علماء التوراة من تثبيت موضع (جوربعل) . وتعني لفظة (جور) (مسكن) ، فيكون تفسير (جوربعل) (مسكن بعل)[5] . ويظهر مـن ذكر الفلسطينيين والعرب الساكنين بهذا المكان والمعونيين بعضهم مع بعض أن أرضيهم كانت قريبة بعضها من بعض ، وأنهم كانوا يداً واحدة على (يهوذا) . ويرى (موسل) أن الزاوية الشمالية الغربية من أرض (حسمى) هي (جوربعـل) . وتقع في رأيه على مقربة من جبل (إرم) الذي يعرف اليوم باسم (رم)، وهو (Aramaua) في (جغرافية بطلميوس) ، ويكون حداً من الحدود الشماليـة للحجاز[6] . وذهب بعض الباحثين الى أن (جوربعل) تعني (صخرة بعل)، في بعض النصوص الإغريقية ، ولهذا فسروها بـ (بطرا) . ولذلك قالوا إن العرب المذكورين كانوا العرب الساكنين عند (بطرا) (Petra)[7] .

وأما (المعونيون) ، فان آراء علماء التوراة متباينة كذلك في تعيين هويتهم[8] : وقد ذهب بعضهم الى انهم جماعة من (المعينيين) ، الذين كانوا قـد استقروا

---

١ يشوع : الاصحاح الحادي عشر ، الاية ٢٢ ، الاصحاح الثالث عشر ، الايـة ٣ ، صموئيل الاول ، الاصحاح السادس ، الاية ١٧ ، الاصحاح السابع عشر ، الاية ٤ ، قاموس الكتاب المقدس (٣١٤/١ وما بعدها) .

٢ صموئيل الاول ، الاصحاح الحادي والعشرون ، الاية ١٠ وما بعدها ، الاصحاح السابع والعشرون ، الاية ١ وما بعدها .

٣ قاموس الكتاب المقدس (٤٩٤/٢) .

٤ Enc. Bibll. P. 2303, Hastings, P. 419.

٥ قاموس الكتاب المقدس (٣٤٤/١) Enc. Bibll. P. 1920, Hastings, P. 322.

٦ Hegaz, P. 274.

٧ Montgomery, Arabia, P. 30.

٨ قاموس الكتاب المقدس (٣٦٢/٢)

في (ديدان) ، وكوّنوا مملكة معينية شمالية[1] . وذهب بعض آخر الى انهم سكان (معين مصران)[2] .

وقد استعاد (عزيا) (أيلة) (ايلات) (Eloth) (Elath) ، وبنى ميناءها ، وتقع في أرض (آدوم) ، وهي فرضتها الشهيرة ، ويقع على مقربة منها ميناء (عصيون جابر) الذي تحدثت عنه . وقد بقيت في ملك (يهوذا) الى ان استولى عليها ملك (أرام)[3] . وقد حاول (عزيا) ومن جاء بعده ، جعل (ايلات) (أيلة) ميناء (يهوذا) الجنوبي ، وذلك للاستفادة منه في الاتجار مع افريقية والبلاد العربية وسواحل آسية الجنوبية ، تطبيقاً لخطة (سليمان) ، الا ان هذا الأمر لم يتحقق ، اذ لم تكن مملكة (يهوذا) قوية متمكنة في هذه المناطق الجنوبية ، التي كانت هدفاً للغارات والحروب .

ويظهر ان ميناء (عصيون جابر) كان قد خـرب أو امتلأ بالرمال ، فلم يصلح للاستعمال ، فرأى (عزيا) استبدال ميناء (أيلة) به ، وقد يكون ماء هذا الميناء أعمق وأصلح للملاحة وللمواصلات من ذلك الميناء ، لذلك وقع اختيار ملك (يهوذا) عليه[4] .

وفي أخبار حملة (سنحاريب) التاسعة ما يفيد ان (حزقيا) ملك (يهوذا) استخدم الـ (الأربيي) ، أي الأعراب ، فيمن استخدمهم للدفاع عن القدس (أورشليم) ، حينما حاصرها ملك آشور[5] . ولم يكن هؤلاء العرب ، الا أعراباً من سكان (يهوذا) ، ومن سكان الأرضين الأخرى في فلسطين .

وعلى عاتق هؤلاء الأعراب وقعت مسؤولية الدفاع عن القدس ، حيث قاموا بدور كبير في الدفاع عنها وفي مقاومة الآشوريين[6] .

ولما سمح الفرس ليهود بابل الذين كانوا في الأسر بالعودة الى بلادهم ، توسل

---

١ Margoliouth, P. 51.

٢ Winckler, AOF. 29, 337, Enc. Bibli. P. 3065.

٣ اخبار الايام الثاني ، الاصحاح السادس والعشرون ، الاية ٢ ، الملوك الثاني ، الاصحاح الرابع عشر ، الاية ٢٢ ،
قاموس الكتاب المقدس (١/١٨٤) Hastings, P. 211.

٤ Montgomery, Arabia, P. 179.

٥ Luckenbill, II, 240, Reall. I, S. 125.

٦ A.R. Burn, Persia and the Greeks, P. 21.

(نحميا) الى (ارتحشتا)، ملك الفرس ، بالسماح له بالعودة الى القدس ، وكان (نحميا) نديماً للملك ، يسقيه الخمر ويؤانسه ، فسمح له . ولما وصل اليها ، وجد المدينة خربة ، وقد تهدمت أسوارها واقتلعت أبوابها،فجمع سكانها وأمرهم باعادة بناء الأسوار واصلاح الثُّغر والثلم التي فيها ، وعمل أبواب جديدة . ولكنه لقي معارضة شديدة من (سنبلط الحوروني) و (طوبيا العبد العموني) و (جشم العربي) ، اذ عارضوا في اعادة بناء الأسوار والأبواب وهددوه بالزحف على المدينة . ونجد في (سفر نحميا) وصفاً لموقفهم من (نحميا) ، فيه استهزاء وسخرية به وازدراء بأمر سكان (أورشليم) وبالسور الذي أخذ في بنائه ، وبين المستهزئين أناس من العبرانيين . « ولما سمع سنبلط اننا آخذون في بناء السور ، غضب واغتاظ كثيراً ، وهزأ باليهود ، وتكلم أمـــام اخوته وجيش السامرة ، وقال : ماذا يعمل اليهود الضعفاء ؟ هل يتركونهم ؟ هل يذبحون ؟ هل يكملون في يوم ؟ هل يحيون الحجارة من كوم التراب وهي محرقة ؟ وكان طوبيا العموني بجانبه ، فقال : ان ما يبنونه اذا صعـد ثعلب فانه يهدم حجارة حائطهم »[1] . وقد تأثر (نحميا) من هذا الازدراء الشائن كثيراً ، فتراه يوجه وجهه لربـــه ويخاطبه قائلاً : « اسمع يا إلهنا لأننا قد صرنا احتقاراً وردّ تعييرهم على رؤوسهم واجعلهم نهباً في أرضي السبي »[2] .

وصمم (نحميا) كما يقول على الاستمرار في البناء حتى إكماله « فلما سمـــع سنبلط وطوبيا والعرب والعمونيون والأشدوديون ان أسوار أورشليم قد رممت ، والثغر ابتدأت تسد ، غضبوا جداً ، وتآمروا معاً أن يأتوا ويحاربوا أورشليم ويعملوا بها ضرراً »[3] . ولكنهم كما يفهم من (نحميا) لم ينفذوا تهديدهم بالهجوم على القدس ، بل بقوا يتكلمون ويهددون ، يرسلون الرسل الى (نحميا) للاجتماع به ، ويذكر (نحميا) انهم لم يكونوا يريدون من هذا الاجتماع الا الفتك به ، فرفض . وعندئذ تراسل (سنبلط) و (طوبيا) مع أحد رؤساء (اورشليم) وهو (شمعيا بن دلايا) ، ليدخل (نحميا) الهيكل ، ثم يعلن للناس انه دخل

---

١ نحميا ، الاصحاح الرابع ، الاية ١ فما بعدها

٢ نحميـــا ، الاصحاح الرابـــع ، الايـــة ٤ .

٣ نحميا ، الاصحاح الرابع ، الاية ٧ فما بعدها .

الهيكل خائفاً هارباً ، فتسقط منزلته من أعين الناس . وقد أحس (نحميا) بالمؤامرة ، فرفض الدخول كما يقول[1] .

وكان (جشم) العربي ، من أشد المعارضين لبناء السور ، ولتحصين القدس ، وذلك لأنه كان يرى في هذا العمل اعادة لدولة (يهوذا) ولتنصيب (نحميا) ملكاً على (أورشليم) . وقد صرح برأيه هذا الى (نحميا) في رسالة وجهها اليه نقل (نحميا) منها هذه الكلمات : (وجشم يقول : انك أنت واليهود تفكرون ان تتمردوا ، لذلك أنت تبني السور لتكون لهم ملكاً بحسب هذه الأمور . وقد أقمت أيضاً أنبياء لينادوا بك في أورشليم قائلين في يهوذا ملك)[2] .

وما كان (جشم) ، ليعارض بناء أسوار القدس ووضع الأبواب لها ، واعادة حكومة (يهوذا) التي قضى عليها البابليون الى الوجود لو لم يكن صاحب سلطان وحكم في أرضين تجاور القدس ، ولهذا رأى في اعادة الملكية الى القدس عاصمة مملكة (يهوذا) المنقرضة ، تهديداً له ولمن تحالف معهم على مقاومة هذا المشروع[3] .

و (جشم) (Geschem) اسم من الأسماء العربية المعروفة . وفي القبائل العربية قبيلة يقال لها (جشم) ، وهي من قبائل (بني سعد) ، وهو أيضاً (جشم) من أسماء الرجال[4] . ويرد بصورة : (جشمو) في الكتابات النبطية[5] . ولم يشر (نحميا) الى موطنه ومكانه ، ولذلك لا ندري أين كان . وقد ذهب بعض الباحثين في التوراة الى أنه كان من أهل (السامرة) (Samaria) ، وذهب بعض آخر الى أنه كان من أهل المناطق الجنوبية من (يهوذا) وأنه كان رئيس قبيلة فيها[6] .

وذهب بعض الباحثين الى أن (جشم بن شهرو) (جشم بن شهر) ، هو (جشم) المذكور في التوراة . وهو أحد ملوك قبيلة (قيدار) (قدار) (قدرو) . وهو الذي عارض (نحميا) في سنة (٤٤٤) قبل الميلاد في اعادة

---

١ نحميا ، الاصحاح السادس ، الاية ٢ فما بعدها .
٢ نحميا ، الاصحاح السادس ، الاية ٦ فما بعدها
٣ (جشم ؟) (Geshem) (Gushamu) Enc. Bibli. I, P. 273. ff.
٤ الاشتقاق (١٥٤/١) ، (١٧٧/٢ ، ٢٠٣ ، ٢٤٢) .
٥ Margoliouth, P. 48, Montgomery, Arabia, P. 29.
٦ Hastings, P. 291, Enc. Bibli. P. 1710, Hastings, A Dictionary of the Bible, I, P. 162.

بناء سور (أورشليم) . وقد كانت (قيدار) مملكة تسيطر على أرض تمتد من (دلتا) النيل الى حـــدود مملكة (يهوذا) فجنوب (ديدان) بحوالي (٢١) كيلومتراً نحو الجنوب في الحجاز، أما في الغرب فتصل حدودها بالبادية[١] . فملك (قيدار) وهـــو (جشم بن شهر) ، كان إذن هو المعارض لبنـاء السور ، وفي معارضته هذه دلالة ولا شك على مقاومته لمحاولة إعادة دولـة إسرائيل من بعد السبي .

ويظن أن الإناء الذي عثر عليه بمصر في موضع يقع على مسافة اثـــني عشر ميلاً الى غرب الإسماعيلية ، وقد دُوّن عليه اسم شخص يدعى (قينو بن جشم ملك قيدار) ، هو ابن (جشم) المعاصر (لنحميا) . وعلى ذلك يكون أحد ملوك (قيدار)[٢] :

وقد كانت (طور سيناء) منذ القديم أرضاً يسكنها العرب ، حتى في أيام داوود وسليمان . ونجد أن رسالة (القديس بولس) الى أهل غلاطية تجعل جبل سيناء في ديار العرب ، وتذكر أن (طور سينـــاء) موطن أبناء هاجر ، أي العرب[٣] . كما نجد أن النقب ووادي عربـة كانا من مواطن الأعراب[٤] . وقـــد كان أعراب (جشم) وغيره ينتقلون وينزلون في هذه المواطن وعـلى مقربة من القدس :

وفي هذا العهد وصل الاتجار بين فلسطين وبين العربية الجنوبية ذروته . فعثر على مواد كثيرة في مواضع متعددة من فلسطين استوردت من العربيـة الجنوبية . كما عثر في حضرموت على آثار تدل على أنها استوردت من فلسطين وبلاد الشأم. وقد كانت حاصلات العربية الجنوبية هي من أهم السلع المطلوبـة في فلسطين . ترسل اليها عن طريق البرّ على ظهور الجمال .

ومنذ عهد (نحميا) أي أوسط القرن الخامس قبل الميلاد ، أخذ العبرانيون

---

١ Grohmann, Arabien, S. 23, F. V. Winnett, Notes on the LIhyanite and Thamudic Inscriptios, in Muséon, 51, (1938), 307, 309, W.F. Albright New Light on early Recensions of the Hebrew Bible, In BASOR. Num. 140, 1955, 31, W. F. Albright, The Archaeology of Palestine, P. 145.

٢ William Culican, The Medes and Persians, London, 1965, P. 151.

٣ الاصحاح الرابع ، الاية ٢٤ فما بعدها .

٤ W. F. Albright, The Archaeology. P. 145.

ينظرون نظرة عداء الى العرب ، ويعدّونهم في الجماعات المعادية لهم[1] . وذلك مما يدل على اتخاذهم موقفاً موحداً ضد العبرانيين وعلى توغلهم في فلسطين في المناطق التي حكمتها حكومتا (إسرائيل) و (يهوذا) ، ولهذا اشتدت مقاومة العرب للعبرانيين واتحدوا مع الشعوب الأخرى في مقاومتهم ، وفي منعهم من إعادة تكوين حكومة يهودية في هذه البلاد .

ولما تولى (يهوذا المكابي) مؤسس أسرة (المكّابيين) (Maccabees) (١٦٦ – ١٦١ ق. م.) الحكم ، حارب أعداء العبرانيين[2] ، وكان من بينهم (تيموتاس) (Timotheus) رئيس (العمونيين)[3] ، الذي استأجر جيشاً من العرب ومن الغرباء ليحارب به (يهوذا) ، غير أنه أصيب كما يقول (سفر المكابيين) بخسائر في كل المعارك التي خاضها مع (يهوذا) ، ولم يتمكن من الانتصار عليه[4] .

وقد تحدث سفر المكابيين الثاني عن (تيموتاس) هذا ، فقال : (ثم ساروا (أي اليهود) من هناك تسع غلوات زاحفين على تيموتاس ، فتصدى لهم قوم من العرب يبلغون خمسة آلاف ، ومعهم خمس مئة فارس ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، وكان الفوز لأصحاب يهوذا بنصرة الله ، فانكسر عرب البادية ، وسألوا يهوذا أن يعاقدهم على أن يؤدوا اليهم مواشي ويمدوهم بمنافع أخرى)[5] . ولعل هؤلاء العرب ، هم العرب المذكورون ، الذين ذكر السفر الأول من المكابيين أن (تيموتاس) كان قد استأجرهم لمقاتلة اليهود . وقد كانوا من أعراب البادية ، كما نرى ذلك في هذا النص .

وورد في (سفر المكابيين الأول) اسم سيد قبيلة عربية هو (زبديئيل) (زبدايل) (زبديل) ، وكان يقطن في (ديار العرب) ، كما جاء ذلك في السفر المذكور. ذكر السفر اسم هذا الرئيس وهو يتكلم على فرار (اسكندر بالس)

---

١ Margoliouth, P. 48, Hastings, P. 406, Enc. Bibli. I, P. 273.

٢ Hastings, A Dictionary. I, P. 936.

٣ A Dictionary, I, P. 937.

٤ المكابيون الاول ، الاصحاح الخامس ، الاية ٦ فما بعدها ، ٣٤ فما بعدها ، المكابيون الثاني الاصحاح الثامن ، الاية ٣٠ ، الاصحاح التاسع ، الاية ٣ ، الاصحاح العاشر الاية ٢٤ فما بعدها .

٥ المكابيون الثاني عشر ، الاية ١٠ فما بعدها

(Alexander Balas) الى (ديار العرب) ، وكان قد مني بهزيمة أوقعه بهـا (بطلميوس) (بطلماوس) (Ptolemy) ، عمه أي والد زوجته . وكان قـد تخاصم معه . فلما وصل (إسكندر بالس) الى (ديار العرب) ، قبض عليـه (زبديئيل) ، وقطع رأسه ، وأرسله الى (بطلماوس)[1] .

ولم يتحدث السفر المذكور عن منزل (زبديئيل) ، ولم يحدد مكان (ديار العرب) ، وعندي أن المراد بـ (ديار العرب) بادية الشام ، والأرضين التي دعاها الأشوريون بـ (أريبي) (Aribi) ، وهي موطن آمن لمن يصل اليه ، إذ يصعب للجيوش النظامية أن تقاتل فيها . وقد كان (زبديئيـل) من رؤساء البادية في هذا الزمن . وهـو حوالي منتصف القرن الثاني قبل الميلاد[2] . وكان الحاكم على اليهود هو (يوناتان) من المكابيين .

ويذكر (سفر المكابيين) أيضاً أن (تريفون) (Tryphon) ، وهو أحد قوّاد (إسكندر بالس) ومن جماعته ، ذهب الى رجل عربي اسمه (ايملكوئيل) ، وكان يربي (أنطيوخس بن الإسكندر) ، فألح عليه أن يسلمه اليه ليملكـه مكان أبيه ، ومكث عنده اياماً . وقد تمكن عربي مع حقد العبرانيين المتزايد على العرب من حكم اليهود ومن تأسيس أسرة حاكمة حكمتهم . ذلك الرجل هو (انتيباتـر) (Antipater) الأدومـي ، نسبـة الى (أدوم) (Edom) (Idumea) (Idumaea) ، وهم سكان جبل سعير ، الذين دعاهم(اوسبيوس) (Eusebius) باسم (Gabelene) أو (Gabalene) أي الجبليين[3] .

فقد تمكن هذا الرجل الذي لم يكن من أسرة ملكية ولا من أسرة معروفـة بفضل شخصيته وبقوته من فرض نفسه حاكماً على (ادوم) (Idumaea) ، ثم تمكن من جعـل نفسه حاكمـاً (Procurator) على اليهوديـة (Iudaea) (Judaea) ،وذلك في حوالي السنة (٣٣) قبل الميلاد . وفي خبر ان (يوليوس قيصر) (Julius Caesar) ، اعترف بـه (Procurator) على اليهوديـة في حوالي السنة (٤٧) قبل الميلاد[4] .

---

١ المكابيون الاول ، الاصحاح الحادي عشر الاية ١٥ وما بعدها

٢ Hastings, P. 20.

٣ Hastings, P. 345.

٤ Smith, A Dictionary of the Bible, I, P. 790. f. Josephus, Anti. Xiv, 7, 3.

ولما وقعت الحرب بين (يوناثان) المكّابي (١٦١ – ١٤٣ ق. م.) و (ديمترتوس الثاني) ،ضرب (يوناثان) العرب المسمين بالزبديين (Zabadaeans) وأخذ منهم غنائم كثيرة[١] . حدث ذلك في سنة (١٤٤ ق. م.) . ويرى بعض علماء التوراة ان هذه القبيلة العربية قبيلة (زبد) (زبيد) كانت تنزل في موضع في شمال غربي (دمشق) ، ويرى بعض آخر احتمال ان ذلك المكان هو (الزبداني) ، الذي يبعد عشرين ميلاً من الشأم على طريق دمشق بعلبك[٢] . وأرى ان من المحتمل أن يكون هؤلاء (الزبديون) هم سكان (زبد) ، وهو خرب في الزمن الحاضر ، يقع بين قنسرين ونهر الفرات . وقد اشتهر عند المستشرقين بالكتابة التي عثر عليها في هذا الموضع ، وقد كتبت باليونانية والسريانية والعربية،ويرجع تأريخها الى سنة (٥١١ م) . وقد أدخلهم(يوسفوس) في عداد النبط[٣] .

و (أرتاس زعيم العرب) الذي طرد (ياسون) من بلاده حينما التجأ اليه فاراً من الملك (أنطيوخس) ، هو (الحارث) أو (حارثة) وهو من ملوك النبط ، ولا شك . وقد ذكر اسمه في سفر المكابيين الثاني[٤] .

وفي أيام (سترابون) كان العرب في جملة سكان مدن فلسطين،مثل القدس و (يافا) و (الجليل)[٥] . وذكر (سترابون) ان (الأدوميين) (Idumaens) كانوا يقطنون الأقسام الغربية من (اليهودية) (Iudaea) ، وهم على حد قوله من (النبط) . ولما كان (سترابون) قد نقل كلامه من موارد أخرى قديمة ، فما ذكره يفيد ان العرب كانوا يقيمون في فلسطين قروناً عديدة قبل الميلاد .

وقد ذكر العرب في جملة الشعوب الساكنة في (أورشليم) يوم مرور الخمسين يوماً على المسيح . ويظهر من أعمال الرسل ان أهل القدس كانوا خليطاً في تلك الأيام من معظم شعوب العالم المعروفة يومئذ[٦] .

---

١ سفر الكآبيين الاول الاصحاح الثاني عشر الاية ٣١ فما بعدها
٢ Hastings, P. 982, Beeton, Dictionary of Religion Philosophy and Law, P. 1809.
٣ Anti. XIII, 5, 10, Beeton, Dictionary, P. 1809.
٤ المكابيون الثاني ، الاصحاح الخامس الاية ٥ فما بعدها . Dubnow, II, S. 48,
٥ قاموس الكتاب المقدس (٣٣١/١) .
٦ اعمال الرسل ، الاصحاح الثاني ، الاية ٩ وما بعدها

وقد أطلق العبرانيون اسم (طيعة) و (طيابة) على العرب ، محاكاةً لبني إرم . فتجد اللفظة في (التلمود) وفي كتابات العبرانيين المدونة في القرون الأولى للميلاد . وقد أخذ الاسم (طيعة) و (طيابة) من (طيء) اسم القبيلة المعروفة ، على نحو ما ذكرت في الفصل الأول :

وقد ذكرت في (المدراش) قبيلة عربية عرفت بـ (سوجي) ، لعله (سواجر) ، أو ما شابه ذلك من أسماء[1] .

وفي التوراة مصطلحات يرى العلماء انها كناية عن العرب . ففيها مصطلح (بني قديم) (Bene Kedem) ، ومعناه : (أبناء الشرق) ، ويقصد به الساكنون شرق العبرانيين ، أي سكان بادية الشأم ، وهو في معنى (شركوني) (شرقوني) ، أي الساكنون في المشرق . وهم كما نعلم قبائل عديدة من العرب سكنت هذه البادية قبل الميلاد بمدة لا يعلمها الا الله . وقد يكون من بين هؤلاء أقوام من الآراميين[2] :

وقد وصفت التوراة بعض عادات العرب وزسومهم ، كما تعرفت لتجارتهم : ولما كانت (فلسطين) امتداداً طبيعياً لجزيرة العرب ، وجزء منها ، وكانت على طريق مصر وبلاد الشأم وعلى ساحل البحر المتوسط ، صارت سوقاً مهمة للتجار العرب وللأعراب ، يأتونها لبيع ما عندهم من سلع ، وأهمها أنواع الطيب والذهب والحجارة الكريمة والأغنام والأعتدة وحاصلات بلاد العرب الأخرى[3] ، كما كانوا يشترون من أسواقها ما فيها مما يحتاجون اليه من حاصلات حوض البحر المتوسط وبلاد الشأم وفي جملة ذلك الرقيق .

وورد في (التلمود) اسم صنم عربي دعي (نشرا)[4] ، ويقصد به (نسر) ولا شك . وهو من أصنام العرب المعروفة . وقد ذكر (ابن الكلبي) ان حمير تعبدت لنسر[5] . كما انه ذكر في (التلمود) أيضاً (حج الأعراب) ، وذكر ان مواسم حجهم كانت تتغير بتغير فصول السنة[6] . وقد تعرض للأحكام الشرعية

---

١ ايخاربائي (٣/٧)
٢ Hastings, P. 200, The Bible Dictionary, I, P. 177.
٣ حزقيال ، الاصحاح السابع والعشرون ، الاية ٢١ وما بعدها .
٤ عبودة زارة ١١ ب .
٥ الاصنام (ص ١١ ، ٥٧)
٦ عبودة زاره ١١ ب ،

الخاصة بدخول البيوت ، فذكر انها لا تنطبق على خيام العرب ، لأنها متنقلة ، فلا تستقر في مكان واحد[1] . كما ذكر ان من عادة نساء العرب التحجب عند خروجهن الى المحال العامة[2] . ولعله يقصد بذلك نساء المدن ، وذكر ان من عادة الرجال وضع اللثام على وجوههم في أثناء السفر لوقايتهم من الرمال[3] ، وأشار الى أن للعرب مقدرة فائقة في معرفة مواضع المياه في الصحراء بمجرد شم الرمال[4]. وورد في (المشنة) (المشنا) ان أغلب طعام العرب من اللحوم[5] .

وقد ورد في (السنهدرين) ، أن احد اليهود قص على الحبر (حية) (R. Hiyya) ، أنه رأى مسافراً عربياً أخذ سيفاً بيده فقطع به جملاً قطعاً ، ثم أخذ (جرساً) فدق به ، فنهض الجمل حالاً ، وكأنه لم يقطع إرباً ، فقال له الحبر ، إن ما حدث هو نوع من الخداع[6] .

ونجد في (السنهدرين) كلاماً لـ (ربه بن برحنه) (Rabbah B. Bar Hana) يروي فيه ، أنه كان مسافراً ، وفي أثناء سفره التقى به عربي ، فقال له : تعال معي وسأريك الموضع الذي انشقت به الأرض وابتلعت جماعة (القورحيين) (قورح) (Korah) . فذهب معه اليه ، ورأى به دخاناً . ثم أخذ العربي قطعة من صوف وبلّها بالماء ، ثم وضعها على رمح له ، ثم أدخلها الموضع فاستشاطت بالنار . ثم قال للعربي اصغ الى المكان ، لعلك تسمع شيئاً فيه . فسمع أصواتاً تقول: (موسى وتوراته على الحق ، أما القورحيون فهم كذّابون) ثم قال له في كل ثلاثين يوماً يتحول هؤلاء في جهنم (Gehenna) ، تحول اللحم في القدر ، وهو يقولون : (موسى وتوراته على حق ، أما هم ، فهم كذّابون)[7] .

ونجد قصة هذا الحبر في (بابا بثرا) (Baba Bathra) ، حيث يقول :

---

١ ١ هلوت ٢٨ : ١٠

٢ شبت ٦ : ٦

٣ موعيد قطان ٢٤ ، ومشنة كليم ٢٩ : ١

٤ بابا بترا ٧٣ ب

٥ مناحوت ٣٦ ب

٦ Sanhedrin, 67b, The Babylonian Talmud, Seder Nezikin, III, P. 460, Translated by, Rabbi I. Epstein.

٧ Sanhedrin 110a, 110b, The Babylonian Talmud, Seder Nozikin, III, P. 757.
قاموس الكتاب المقدس (٢/٢٢٦) «قورح» .

لقد كنـــا في سفر في صحراء ، فالتقى بنا تاجر عربي ، وكان ممن يستطيع التنبؤ بمواضع المياه وبالأبعاد وبالطرق من شمّ التربة ، فأردنا الاستفسار منه عن أقرب مكان الينا فيه ماء . فقال لنا : أعطوني رملاً فأعطي ، فشمه ثم قـــال أقرب مكان اليكم فيـــه ماء هو على بعد ثمانية فراسخ (Parasangs) ثم سرنا وأردنا الاستفسار ثانية منه ، فقدمنا له رملاً ، شمه ثم قال لنا الماء على بعـــد ثلاثة فراسخ من هذا المكان . ثم حاول هذا الحبر اختباره لمعرفة مـــدى صدقه من كذبه ، فأبدل الرمل ، فلما قدم اليه رملاً آخر . لم يستطع أن يقول شيئاً[1] .

ويقص علينا قصة أخرى يزعم أنها وقعت له مع هذا التاجر العربي ، حيث يقول انه قال له : تعال معي أريك (أموات التيه) ، أي الإسرائيليين الذين ماتوا في التيه في طريقهم إلى أرض الميعاد . فذهب الحبر معه ، ورأى الأموات وكأنهم في حالة فرح وسرور ، وقد رقدوا على أظهرهم ، ثم يقول : وقد رفع احد هؤلاء الأموات ركبته ، ومرّ التاجر العربي من تحت تلك الركبـة ، وقد كان حاملاً رمحه راكباً بعيره ، ومع ذلك فإن رمحه لم يمس رجـل الميت . ثم يقول وقد ذهبت الى أحد الأموات الراقدين فقطعت جزءاً من ذيل ردائه الأزرق العميق ، وعندما حاولت الرجوع ، لم أتمكن من الحركة وبقيت ثابتاً في مكاني، فقال له العربـي : إذا أخـــذت شيئاً من هؤلاء فأرجعه الى محله ، وإلا فإنك ستبقى ملتصقاً في مكانك،لأن من يتطاول على حرمة الراقدين فيأخذ شيئاً منهم، يجمد في مكانه ، ولا يستطيع التحرك . فذهبت وأرجعت القطعة وتمكنت عندئذ من السير[2] .

ثم يذكر أن هـــذا التاجر العربي أخذه الى جبـــل الطور (جبل سيناء) (Mount of Sinai) فأراه إياه ، ثم اخذه الى الموضع الذي انشق بالقورحيين، جماعة (قورح) ، فأراه شقين في الأرض ، ووجـــد الدخان لا يزال يخرج منهما ، ثم يذكر أنه اخذ قطعة الصوف وادخلها هو بنفسه ، ثم أخرجهـا وإذا بها وقد علقت بها النار،ثم يقص باقي القصة على نحو ما جاء في (السنهدرين)[3].

ونجد في (مينحوت) (Menahoth) فتوى تتعلق في نجاسة او طهارة قُرَب

---

١ Baba Bathra, 73b, The Babylonian Talmud, Seder Nezikin, II, Baba Bathra, P. 292.

٢ Baba Bathra, 74a, The Babylonian Talmud, Seder Nezikin, II, P. 292.

٣ Baba Bathra, 74a, Seder Nezikin, II, P. 293-294.

الماء . وقد ورد في هـذه الفتوى ، أن القرب التي تشد وتعقد بعقدة تكون طاهرة ، إلا اذا عقدت بعقدة عربية . فإنها تكون نجسة ولا يحل الشرب منها [١] . ونجد هذا البحث مرة أخرى في مكان آخر من (المشنة) في كتاب الـ (قليم) (Kelim) ، أي (كتاب الأواني والأوعية) من (كتاب الطهارة) ، حيث عرضت آراء الأخبار في قرب الماء وفي كيفية عقد عقدتها لمدة طويلة أو لمـدة قصـيرة ، ومن حيث شدة العقدة أو رخاوتها ، وتأثير ذلك في طهارة الماء . فأشير الى قرب ماء العرب وموقفهم من الشرب منها او من الاستفادة من مائها وهل يعد ماؤها طاهراً أو نجساً في الشريعة اليهودية ؟ وقد جاءت آراء الأخبار متباينة في ذلك [٢] . ويظهر ان اتصال العرب باليهود اتصالاً وثيقاً بالعراق ، وسكن اليهود بين العرب في بلاد العرب ، أثار امام اليهود هذه المشكلة الفقهية ، فهم مضطرون دائمـاً الى الاتصال بالعرب والى شرب الماء منهم ، فظهرت من ثم عندهم هـذه المشكلة ، وكان على الأحبار بيان رأيهم في طهارة ماء القرب ، وقرب العرب منها بوجه خاص ، لما في ذلك من علاقة بقضية الطهارة والنجاسة ومكانتها في فقه يهود .

وفي موضع آخر من كتاب (الأواني والأوعية) (Kelim) ، بحث عن جواز أو عدم جواز ارتداء بعض الأردية وموقف الشريعة من أكسيـة الرأس وأغطية الوجه والجسم ، فبحث في جملة ما بحث عنه ، عن القناع الذي يصنعه العرب على أوجههم وعن تلثمهم به ، فهل يجوز لليهودي شرعاً ان يفعـل فعل العرب ام لا [٣] .

وقد استثنت (المشنه) في كتاب (أو حولت) اي (الخيام) ، عشرة مواضع من تطبيق أحكام الشرع عليهـا ، بخصوص طهارتها او نجاستها لكون ساكنيها من الوثنيين . وقد ذكرت مضارب خيام العرب على رأس هذه المواضع العشرة التي لا تخضع لحكم الشريعة في موضوع حكم طهارتها او نجاستها . وذلك لأن مضارب البدو غير مستقرة ، إذ ان الأعراب يتنقلون من مكان الى آخر . لذلك لا يمكن تطبيق الأحكام الشرعية التي تطبق عـلى العقار الدائم عليها في

---

١ Menahoth, 37b, p. 231, Translated by Eli Cashdan.

٢ The Mishmahs, Kelim, P. 124.

٣ The Mishna Kelim? P. 138.

موضوع نجاسة الأثاث والأواني وكل شيء يكون تحت الخيمة التي يموت فيها إنسان ، ولأن اصحابها غير يهود[١] .

وقد أشير في (مينحوت) (Menahoth) الى موضوع تقديم طعام مطبوخ في موقد عربي ، هل يقبل أو يرفض . فأشار بعض فقهاء الشريعة اليهودية الى عدم جواز الأكل من ذلك الطبيخ[٢] .

ونجد في (بابا بثرا) (Baba Bathra) ، ان الحبر (ماير) (R. Meir) يستثني النبط والعرب والسلمونيين (Salmoeans) من الوعد الذي أعطاه الله لموسى حين أراه الأرض الموعودة[٣] . ويظهر ان (السلمونيين) ، هم قبيلة من القبائل العربية الشمالية[٤] . لعل لاسمهم علاقة بـ (سلمان) .

وقد ورد ذكر العرب في كتاب الحيض (نده) (Niddah) من كتاب (الطهارة) في الفقه اليهودي . وذلك في موضوع العبدة وهل يجوز الاتصال بها ، أو لا يجوز ، على اعتبار انها خصصت لأداء الأعمال لا للاتصال الجنسي. وقد أجاز الحبر (شيشت) (R. Shesheth) ايداع العبدة أي المملوكة الى العرب ، على أن يقال لهم احترسوا من الاتصال بالإسرائيليات[٥] .

وفي التلمود والمشنه والكمارة مسائل فقهية أخرى عديدة يخرجنا ذكرها هنا من حدود هذا الموضوع تتعلق بموضوع صلات العرب واليهود . في مثل موقف الشريعة اليهودية من ذبائح العرب ، وهي التي يذبحها اليهود للعرب في مقابل اعطائهم اللحم ليقدم العرب دمها وشحمها للأصنام[٦] .

وموقف الشريعة من المرأة التي يأسرها الأعراب ثم تعاد بعد ذلك الى أهلها بعد فك أسرها، هل يجوز للحبر أو لغيره التزوج منها أو لا؟ أو موقف الشريعة من المملوكة اليهودية التي تكون في ايدي العرب ، من حيث احتمال دخول العرب بها[٧] . أو موقف الشريعة من الحبوب او المواد الأخرى التي تقع بين روث

---

١ The Mishnahs, Oholoth, P. 228.
٢ Menahoth, 63a, Menahoth, P. 372.
٣ Baba Bathra, 56a.
٤ The Babylonian Talmud, Seder Nezikin, P. 227.
٥ Niddah 47a, The Babylonian Talmud, Seder Tohoroth, P. 328.
٦ The Babylonian Talmud, Seder Kodashim, II, Hullin, P. 214, Hullin, 39b.
٧ The Babylonian Talmud, Seder Nashim, II, P. 199, Kethuboth, 36b.

ماشية العرب[1] ، أو دخول إبل العرب في (كثوبة) (Kethubah) يهودي[2]. أو موقف اليهودي من المرأة[3] . أو موضوع نظر اليهودي الى عضو من جسم امرأة عربية ، مثل صدرها حينما يمر في مكان ويراها وقد كشفت عن صدرها لترضع رضيعها[4] ، أو موقف الشريعة اليهودية من المختتنين العرب[5] .

ونجد في باب (الشهادات) (الوثائق) (كظين) (خطين) (Gittin) قولاً لأحد الأحبار يقول : ان امرأة عربية جاءت الى أحد اليهود تحمل كيساً فيه تعاويذ لبيعها ، فقال لها اليهودي اعطيك تمرتين عن كل تعويذتين. فاغتاظت المرأة ورمت ما حملته في النهر . فندم اليهودي وقال وددت لو لم أكن قد أعطيتها هذا العوض الرخيص[6] .

وقد نشأت هذه المعضلات الفقهية من اختلاط اليهود بالعرب في فلسطين وفي الأماكن التي هاجروا اليها من بلاد العرب من جـراء ضغط الرومان عليهم ، وعدم تمكنهم من ممارسة عبادتهم في البلاد الخاضعة للحكم الروماني بسهولة وبحرية تامة ، فهاجر كثير منهم الى أعالي الحجاز والى العراق حيث اختلطوا بالعرب وعاشوا بينهم في مثل (الأنبار) و (فومبديثة) و (زقونية) (زكونية) (Zekonia) ، وهو موضع على مقربة من (فومبديثة)[7] . وموضع (بمكسه) (Be-Mikse)[8] ، (نهردعة) (Nehardea) وسورا (Sura) وأماكن أخرى من العـراق . وقد كان ليهود الفرات اتصال وثيق بالعرب وكانوا يعيشون معهم في كثير من الأماكن ويتاجرون معهم . وكوّن اليهود لهم (كالوتا) أي (جالية) عاشوا فيها متمتعين بشبه استقلال ذاتي ، يدير رؤساؤهم (كالوتاتهم) ، ويكونون هم الممثلين لأتباعهم أمام السلطات صاحبة النفوذ الفعلي، كما كانوا يعقدون أحلافاً مع الأعراب على طريقة أهل المدن والحضر في عقد مواثيق مع سادات القبائل لمنع الأعراب من غزوهم ومن التحرش بأملاكهم وتجاراتهم .

---

١ Kethuboth 66b, II, P. 405.
٢ Babylonian, Seder Nashim, II, P. 408.
٣ Babylonian, Seder Nashim, II, P. 452.
٤ Babylonian, Seder Nashim, II, 472, Kethuboth 75a.
٥ Yebamoth 71a, Babylonian, I, P. 479.
٦ Gittin, 45b, Babylonian, Seder Nashim, IV, P. 200.
٧ J. Obermeyer, Die Landschaft Babylonian, S. 234, Hullin, 39b.
٨ Yebamoth, 45a, babylonian, Seedr Nashim, I, P. 295, Obermeyer, S. 334.

وأود ان أشير هنا الى أهمية (التلمود) و (المشنه) و (الكماره) ، بالنسبة لتأريخ العراق ، ففي أبوابها بحوث قيّمة عن مدن العـراق وجغرافية العراق في عهد تدوين هذه الكتب ، وهي تمتد لمئـــات من السنين . ففي (القيدوشين) مثلاً ، أسئلة وأجوبة عن (اقليم بابـل) وعن (ميسان) (Mesene) وعن (ميديا) ، وقد وردت فيها أسماء مدن وأنهار وقرى وغير ذلك مما يساعد كثيراً في فهم جغرافية العراق في عهود ما قبل الميلاد وما بعده[1] .

وقد تساهل الفرس في الغالب مع اليهود ، فنحوهم استقلالاً ذاتياً واسعاً في ادارة شؤون مستوطناتهم وفي ممارسة طقوسهم الدينية وفي الاتجار ، حتى صارت كل مستوطنة تدير شؤونها بنفسهـا وتختـار حاكمهـا بنفسها ، حتى ان بعضهـــا وضعت على رأسها حاكماً يهودياً لقبته بلقب (ملك) ، أدار شؤون الجالية طبقاً لأحكام يهود . وكان هؤلاء الحكام هم الصلة بـــين اليهود وبين الفرس . وقد صارت بعض هذه المستوطنات من أهم المراكز العلمية عند اليهود في العالم ، وفي ضمن ذلك فلسطين . وفي هذه المواضع دوّن (التلمود البابلي) ،دوّنه أحبارهم الذين استقروا في العراق . وهو يعد من أثمن التراث العبراني الذي ظهـــر عند اليهود . وقد تأثر بالروح العراقية حتى امتاز بها على التلمود الأورشليمي ، أي التلمود الذي كتب في فلسطين .

وقد لاقى اليهود مساعدة حسنة من العرب ، وعوملوا معاملة طيبة . ويظهر من مواضع في التلمود والمشنه ، أن العبرانيين فرّوا الى جزيرة العرب منذ أيام (بخت نصر)[2] . وقد تأثر اليهود النازحون الى جزيرة العرب بعـادات العرب ورسومهم . ويحدثنا (أبا أريخا) من الأحبار وكبار علماء التلمود في القرن الثالث الميلادي ، أن اليهود كانوا يؤثرون حكم الإسماعيليين ، ويقصد بهم العرب ، على الرومان ، ويؤثرون حكم الرومان على حكم المجوس[3] . ومع ذلك ، فقد حدث خصام بين العرب واليهود ، فنجد في (التلمود) مواضع يظهر فيها حقد اليهود على العرب وكراهيتهم لهم . كالذي يظهر من كلام (الحبر يشوعه بن ليفي)[4] (يشوعه بر ليفي) ،حين رأى أكواماً من العنب مكدسة ، فقال : (يا للبلاد

---

١ Keddushin 71b.

٢ The Universal Jewish Encyclopedia, I, P. 439.

٣ Shabth IIa.

٤ R. Joshua b. Levi.

يا للبلاد) . لمن هذه ، لأولئك العرب (الوثنيين)[1] الذين ثاروا علينا لخطيئتنا[2]. وكالذي يظهر من كتاب (قدوشين) (Kiddushin) ، حيث ورد ، (أعطي العالم عشرة (قابات) من الوقاحة ، خص العرب بتسع منها)[3] . وفي هـذا الكلام دليل على تطاول العرب على اليهود في المواضع التي كانوا يعيشون بهـا معـاً . وحقد اليهود عليهم من أجل ذلك .

ونجد في الأخبـار السريانية والعبرانية أخبار غارات وغزوات قام بها عرب العراق على الجاليات اليهودية التي انتشرت من (بابل) وما جاورها حتى جاوزت شمال (عانه) على نهر الفرات . وقد ازعجت هذه الغارات اليهود الذين حولوا هذه الأرضين الى أرض سادتها وغلبتها حتى صيرتها على شاكلة (وادي القرى) عنـد ظهور الإسلام . فاضطروا الى تحصين مستوطناتهم وأحاطتها بأسوار والى تشكيل قوات تقوم بحمايتها ليل نهار حتى في أيام السبت والأعياد اليهودية ، مع تحريم الشريعة اليهودية العمل يوم السبت . وأباح الأحبار لهذه القوات حمل السلاح في أيام السبت وفي أيام العطل حتى تكون على استعداد للدفاع عن تلك المستوطنات في أية لحظة يشن فيها الأعراب غاراتهم عليها ،إذ يحتمل أنها تقوم بقتل اليهود[4].

وقد تعرض الرعاة اليهود الذين كانوا يخرجون بماشيتهم من مستوطناتهم الى البرية أو الى ضواحي مستوطناتهم الى غارات الأعراب عليهم ، وسلبهم ماشيتهم[5] ، كما تعرض اليهود الى الأسر ، فأسر عدد منهم ، نساءً ورجالاً . حتى سلبوا وأسروا بعض الأحبار ، لذلك كانت الجاليات اليهودية تخشى من الأعراب كثيراً[6] وقد تعرضت مدينة (نهردعة (Nehardea) الى الغزو وذلك سنة (٥٧٠) من التقويم السلوقي الموافقة لسنة (٢٥٩) للميلاد. فقد غزاها كما تقول الأخبار اليهودية سيد قبيلة عربية ، اسمه (بابابر نصر) (بابا بن نصر) (Papa Bar Nasr) ، وألحق بها أضراراً فادحة ،وخرب بعض أماكنها ، وقد هرب منها بعض أحبارها الى مستوطنات يهودية أخرى[7] . وقد ذهب المؤرخ اليهودي (كريتس) (Graetz)

---

١ الوثنيون في طبعة (Bomb)

٢ Kethuboth 112a, Babylonian, Seder Nashim, II, P., 225.

٣ القاب (Kab) وحدة من وحدات الوزن Kiddushin 49b, Babylonian, Seder Nashim, IV, P., 249.

٤ 'Erubin 45a.

٥ Baba Bathra 36a.

٦ Koheleth 7, Cittin 23a.

٧ Obermeyer, S., 254. ff.

الى أن هذا الأمير العربي المهاجم هو (أذينة) ملك تدمر وزوج الملكة الزباء[1]. غير أن اشتهار ملوك الحيرة عند العرب بـ (آل نصر) وقرب الحيرة من مدينة (نهر دعة) واتصال عربها بالجاليات اليهودية يحملنا على التفكير في أن المهاجم هو أمير من أمراء (آل نصر). ملوك الحيرة، وهم حلفاء الفرس.

وورد في الأخبار أيضاً أن مدينة (فومبديثة) (Pumbaditha) تعرضت للغزو أيضاً، وهي من أمهات مدن الجاليات اليهودية. هاجمها جيش جاءها من (عاقولاء) ويظهر أنه من قوات (آل نصر) ملوك الحيرة[2].

وقد كانت مدينة (فومبديثة)، محاطة بالأعراب. ولذلك كانوا يتعاملون معهم، ويأتون اليهم ويذبحون عندهم. وقد جاء في الأخبار أن أحبارها قد أباحوا لأهلها التعامل مع الأعراب في أيام أعيادهم، أي أعياد الأعراب. وذلك لأن أعياد الأعراب لم تكن ثابتة، تحل في وقت معين وفي مواسم مثبتة، لذلك جوّزوا لهم البيع فيها. لأن أحكام التلمود تمنع اليهود من التعامل مع الغرباء في أيام أعيادهم اذا كانت تلك الأعياد أعياداً دينية.

ولما كانت الشريعة اليهودية لا تعتبر العيد عيداً مقدساً دينياً إلا اذا كان يقع في أوقات ثابتة معينة لا تتغير ولا تتبدل في التقويم، لذلك أفتى الأحبار بعدم اعتبار أعياد الأعراب أعياداً دينية، وأباحوا لأهل المدينة التعامل مع المعيّدين في أيام أعيادهم.

وإلاّ فما كان يحل لهم بيع الأعراب شيئاً في أيام تعييدهم. وقد باعوا لهم خمراً وحبوباً. أما بالنسبة الى أعياد الفرس والروم، فقد منع التلمود اليهود من التعامل مع الفرس أو الفرس فيها، لأنها أعياد ثابتة وقد نص على مواعيدها، وأشير اليها في التلمود، لذلك،طلب من اليهود الامتناع عن بيع الفرس والروم شيئاً في أعيادهم[3].

ويذكر التلمود ان الأعراب (طيعه) (طيية) (طيابه)،المجاورين لموضع (صقونية) (Sikunya)، طلبوا من أهله وهم يهود أن يذبحوا لهم ذبائح في مقابل اعطائهم لحومها وجلودها، أما دمها فيجمع ويعطى للأعراب وذلك

---

١ Gratz, Geschichte der Juden, IV, 295.

٢ Obermeyer, S., 223.

٣ Obermeyer, S. 234.

لتقديمه لأربابهم . وكانت عادتهم تلطيخ أصنامهم بدم القرابين[1] .

وقد عرف الأعراب بـ (طيبعه) في التلمود . أما السريان والموارد اليهودية الأخرى المدونة بالسريانية ، فقد أطلقوا وأطلقت على الأعراب لفظة (طيبه) (طيايا) ، وذلك باسقاط حرف العين من الكلمة : (طيبعه) والكلمتان من أصل واحد ، هو (طيء) اسم القبيلة العربيـة المعروفة . وقد كانت في أيام تدوين التلمود من أقوى وأشهر القبائل العربية ، حتى غلب اسمهـا سائر أسمـاء القبائل ، فأطلق على كل عربي كائن ما كان[2] .

وأطلقت لفظة (عربايه) في كتاب من كتب التلمود ، على العرب المزارعين الذين استقروا على مقربة من (فومبديثة) . وذكـر التلمود ان اولئك العرب المزارعين كانوا قد انتزعوا مزارع اليهود بما فيها من أبنية وأملاك ، وأقاموا بها ، ولهذا السبب ، فقد ذهب اليهود الى حبرهم وقاضيهم (ابيه) (Abaya) ، وطلبوا منه اعطاءهم وثائق تملك أخرى ، حتى يكون في إمكانهم مراجعة السلطات لاثبات ملكيتهم لأملاكهم التي انتزعت بالقوة منهم[3] .

وقد نزح يهود من فلسطين الى الحجـاز ، فسكنوا وادي القرى حتى نزلوا (يثرب) ، وذهب قسم منهم الى اليمن ، كما سأتحدث عن ذلك فيما بعد .

---

١ Obermeyer, S. 234.

٢ Obermeyer, S. 233. ff.

٣ Baba Bathra, 168b, Obermeyer, S. 235.